

ومن هنا حصلت القطيعة بين نتاجات هؤلاء الشعراء والجمهور والناقد، واحتاج هذا الشعر إلى فترة زمنية طويلة ليعترف له بالشرعية فيلقت إليه الجمهور. يوم وجد من يخلق التواصل ويلغي القطيعة. ولعل ابن المعتز هو أول من فعل ذلك من النقاد، كما أسهم شراح الشعر المحدث كثيراً في سبيل تقريب هذا الشعر من الجمهور حين قدموا مستويات عديدة لقراءة النص المحدث.

وأما النقاد القدامى فقد ألغوا أبا تمام وأترابه من دائرة الشعر، ولم يعترفوا لهم بسلطة الإبداع التي تعني في جملة ما تعني الخلق والابتكار. وقد أدى هذا الإلغاء وهذه المصادرة إلى وضع قوانين الإبداع لوضع النص في قالب ثابتة، وما عمود الشعر الذي أنهى فيه المرزوقي البحث إلا قالب من هذه القوالب. والحمد لله أن الشعراء لم يأخذوا بهذه الآراء النقدية المتأثرة بالمنطق واعتمدوا على حدسهم الإبداعي في تطوير القدرات التعبيرية للنص الشعري وتطور الشعر بفضل الشعراء لا بفضل النقاد، على الرغم من أننا لا نعدم التأثير العكسي الذي أحدثه موقف النقاد من هذا الشعر؛ "والحقيقة أن الحدس الذي هو أساس الفن ومصدره يجنح إلى إيجاد صورة لا كتلة غير منسجمة من الصور، مما يمكن الحصول عليه بتذكر صورة قديمة أو جعل الصورة تتعاقب بعضها في إثر بعض بفعل إرادي آخر كما يضم رأس إنسان إلى عنق حصان لصنع لعبة من لعب الأطفال" (2).

وقد استمرت الحال في المراحل المتلاحقة للأدب العربي، فشوقي وحافظ لم يعترفوا بسلطة الناقد عليهما، وإنما جددا يوم وجدا أنه من الضروري تجديد لغة الإبداع لكي تستطيع التعبير عن ما جدّ في حياة العرب من شؤون عظيمة. ولعلنا لا نجانب الصواب إن سحبنا ذلك على الشعر الحر العربي الذي احتاج إلى فترة زمنية لكي ينال اعتراف بعض النقاد به، وربما حتى مجيء الجيل الذي تربى بين أحضان هذا الإبداع.

لعل من المفارقات العجيبة أنّ النشاط النقدي في المجتمع الغربي هو الذي يوجّه الحركة الإبداعية. ويستمدّ هذا النشاط قوته وسلطته من النشاط الفكري لهذا المجتمع.

فقد خلق الفكر الوجودي، على سبيل المثال، حلقة نقدية نشيطة أدت إلى وجود إبداع يكرس هذا التفاعل العقلي، ولعل تجربة سارتر مفيدة في هذا المجال، فقد كان مفكراً ثم ناقداً ثم أديباً. وأما عندنا فالأمر معكوس، إذ إنّ النشاط الإبداعي هو الذي يوجّه النشاط النقدي. لقد ظهر نموذج أبي تمام فخلق